

مدرسة الإمام الخميني الخالدة

المكان: طهران — مرقد الإمام الخميني (قدس سره)

الزمان: ١٤/٣/١٣٩٣ ش. ٦/٨/١٤٣٥ هـ. ٤/٦/٢٠١٤ م.

الحضور: جموع غفيرة من أبناء الشعب الإيراني

المناسبة: الذكرى السنوية (٢٥) لرحيل الإمام الخميني (قدس سره)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين، سيما بقية الله في الأرضين. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١)، ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا... رَبَّنَا لِيضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٢). قال الله الحكيم في كتابه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (٣).

سوف أذكر ما أريد قوله لكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء في هذا اليوم المهم العصي على النسيان ضمن ثلاثة جوانب: الجانب الأول هو أن هناك حقيقة مهمة حول الجمهورية الإسلامية من المهم بالنسبة لنا اليوم التنبيه لها. وفي الجانب الثاني ستكون لنا إشارة وشرح ووصف قصير لمدرسة إمامنا الخميني الجليل الخالدة، ومع أننا قلنا الكثير حول مدرسة الإمام الخميني الراحل وقالوا الكثير وسمعنا الكثير، بيد أن هذا الوصف القصير ضروري في مقطعنا الزمني هذا، فهو صورة مختصرة لمجموعة ما أوجده الإمام الخميني الجليل كظاهرة منقطعة النظير في العالم المعاصر. والجانب الثالث إشارة إلى تحديين خطيرين يعتوران درب الشعب الإيراني ونظام الجمهورية الإسلامية، والتفطن لهذين التحديين مهم؛ لكي نسير الدرب بشكل صحيح.

في إطار الجانب الأول فإن الحقيقة التي أشرت لها هي أن خمسة وعشرين عاماً مضى على رحيل الإمام الخميني الكبير لكن التشوق والحماس للسمع عنه والمعرفة حوله لم يقل، والأمر لا يختص ببلادنا، فهذه حقيقة قائمة في العالم الإسلامي بل خارج حدود العالم الإسلامي. لا في بلادنا فقط - والجيل الثالث للثورة يتصاعد ويكبر فيها - بل في العالم الإسلامي أيضاً يبحث الشباب في عصر الاتصالات وعصر الانترنت حيث يستطيعون التواصل بسهولة مع القضايا البعيدة عن بيئتهم، يبحثون عن معرفة المزيد حول قضايا الثورة الإسلامية والجمهورية الإسلامية وحول

مهندس هذا الصرح العظيم. ظاهرة الديمقراطية الدينية ونظرية ولاية الفقيه قضايا مهمة وجذابة بالنسبة للبيئات الفكرية في العالم الإسلامي.

لقد بدأ أعداؤنا مساع واسعة منذ الأيام الأولى، وكلما تقدم بنا الوقت أكثر كلما ازدادت مساعيهم. لقد استخدموا مئات بل آلاف الخطات التلفزيونية والإذاعية والإنترنتية من أجل توجيه الشتائم للجمهورية الإسلامية ولؤسسها الكبير ولأنصارها. وقد ساعدنا هذا كثيراً، بمعنى أنه أثار الشعور بالتطلع والفحص لدى المستمعين والمتلقين في كل أرجاء العالم، فهم يريدون أن يعرفوا ما هو سبب كل هذا العدا والتشويه والهجمات القذرة، وما هي تلك الحقيقة التي تتعرض لكل هذا العدا. إذن، راح الأعداء يذكرنا من باب العدا ويتحدثون حول إماننا ونظامنا، ولكن ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (٤). هذا ما يقوله الله تعالى. لقد بدأوا هذه التحركات الواسعة بهذه النية، ولكن توفرت لنا بالتالي فرصة، فقد جرى تحفيز شعور البحث والتطلع لدى مستمعي هذه الأجهزة الإعلامية في كل أنحاء العالم. وفي البلدان الإسلامية وفي منطقتنا فإن الصحوة الإسلامية - والمشاعر المناهضة للاستكبار فيها تغلب على أية ظاهرة أخرى - هي بحد ذاتها علامة على ذلك التطلع والاستفهام والبحث عن الإجابات، وهذه حالة مستمرة. قد ترفع الأجهزة الاستخباراتية الغربية والأمريكية لمسؤوليها ومن هم على رأسها تقارير تقول: بأنها استطاعت قمع الصحوة الإسلامية في منطقتنا. إذا كانوا يتصورون هذا فهو خطأ آخر من أخطاء أعدائنا الاستراتيجية وتحليلاتهم المغلوطة. قد يمكن قمع الصحوة الإسلامية لمدة معينة في جانب من العالم الإسلامي، لكنها بلا شك لن تستأصل، بل ستتشر. وهذا الفهم وهذا الإدراك وهذا الوعي وهذا التصور في البلدان ولدى جيل الشباب من المسلمين في هذه المنطقة ليس بالشيء الذي يمكن القضاء عليه بسهولة. هم طبعاً يحاولون وقد يبدو أن محاولاتهم في بعض المناطق قد أفضت إلى النجاح لمدة قصيرة، لكنها ستبقى في نهاية المطاف بتراء.

هذا التطلع الذي يحمله جيل الشباب اليوم في العالم - خصوصاً في العالم الإسلامي - بشأن ظاهرة الديمقراطية الدينية ناجم عن أن الجمهورية الإسلامية كانت ظاهرة مضي على ولادتها ٣٥ عاماً وتعرضت طوال هذه الأعوام الخمسة والثلاثين إلى ردود أفعال عنيفة وعدوانية من قبل القوى المهيمنة في العالم، فقد كانت هناك ردود الأفعال العسكرية ورددود الأفعال الإعلامية ورددود الأفعال العدوانية الاقتصادية - إذ قد بدأت أنواع الحظر منذ بداية الثورة وتضاعفت واشتدت يوماً بعد يوم إلى يومنا هذا - وكانت هناك ردود الأفعال السياسية. هذه الجبهة الغربية القوية فعلت كل ما استطاعت ضد الجمهورية الإسلامية على مدى ٣٥ عاماً، فقد كانت لها محاولات عسكرية وساعدت الطرف الذي هاجم البلاد عسكرياً ودعمت الأعداء أين ما كانوا

ضد الجمهورية الإسلامية، وأطلقت إعلاماً ضخماً ضدها، واستخدمت الحظر والحصار الاقتصادي بأعلى درجاته وبشكل غير مسبوق، ولكن في المقابل، لم تضمحل الجمهورية الإسلامية قبال كل هذه الهجمات وهؤلاء الأعداء العنيفين غير الآبهين لشيء، ولم تجرح إلى التربة المحافظة، ولا حتى خضعت لابتزازات الغرب، بل تقدمت البلاد يوماً بعد يوم.

هذا هو الشيء الذي يشكل ماهية ذلك التطوع والتفحص. تتعاقد القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية الأولى في العالم وتضع يداً بيد ضد بلد واحد وضد دولة وتبذل مساعيها ومحاولاتها طوال ٣٥ عاماً، لكن تلك الدولة على الرغم من كل تلك المحاولات لا تبقى عصية على الاضمحلال وحسب، بل تزداد قوة يوماً بعد يوم، ولا تخضع لابتزازاتهم ولا تكثر لهم. لقد أثبتت الجمهورية الإسلامية اقتدارها وقابليتها على البقاء في ميادين مختلفة. اليوم حين ينظرون للجمهورية الإسلامية يرون أن الجيل الثاني والثالث للثورة في هذا البلد يوجد بينهم عدة ملايين من الطلبة الجامعيين وعدة آلاف من طلبة العلوم الدينية الأفاضل، وعدة آلاف من الباحثين والحقائق، وعشرات الألوف من أساتذة الجامعات والحوزات، والآلاف من النخبة العلميين والفكرين بعضهم مشهورون على الصعيد العالمي والدولي، والآلاف من الناشطين والنخبة السياسيين والثقافيين والمنتجين والاقتصاديين. هذه هي حقيقة مجتمعنا اليوم. الجمهورية الإسلامية على صعيد العلم والتقنية، وعلى الرغم من كل حالات الحظر والحصار، ترسل قمراً صناعياً إلى الفضاء وترسل كائناً حياً إلى الفضاء وتعيده، وتنتج طاقة نووية، وهي ضمن البلدان العشرة الأولى عالمياً في الكثير من العلوم الجديدة، وتعلن المراكز المعنية في العالم أن سرعة تقدم العلم في الجمهورية الإسلامية أكثر من المتوسط العالمي بثلاثة عشر ضعفاً، وتصدر الخدمات العلمية والتقنية لمختلف البلدان، وتدير بلداً من ٧٥ مليون نسمة على الرغم من حالات الحظر غير المسبوقة، ولها الكلمة الأولى في سياسات المنطقة، وتقف لوحدها بوجه الكيان الغاصب والمدعوم من قبل عتاة العالم، ولا تتوافق مع الظالم وتدافع عن المظلوم، وهذا ما يدعو أي إنسان واع إلى التطوع ومعرفة ماهية هذا الوجود، وما هي حقيقة هذه الظاهرة التي تجابه كل هذا العدوان، وبكل هذه القدرات الذاتية وعلامات الحيوية والبقاء. هذه هي ماهية هذا التطوع وحب المعرفة. هذا ما يتعلق بالقضايا العلمية والتقنية وما إلى ذلك.

وعلى صعيد الشؤون السياسية والاجتماعية فإن التجسيد الراقى للديمقراطية في هذا البلد الذي مضت على ثورته ٣٥ سنة، هو ٣٢ انتخابات عامة أقيمت في البلد. أي كانت هناك ٣٢ انتخابات خلال ٣٥ سنة، فهل هذا بالهزل أو المزاح؟ إنه نموذج منقطع النظير. انتخابات الجمهورية الإسلامية بنسبة مئوية عالية من المشاركة الشعبية - والنسبة المئوية هذه أعلى من

المتوسط والمعدل العالمي، وفي بعض الأحيان أعلى منه بكثير، حيث تصل المشاركة إلى ٧٠ بالمائة و٧٢ بالمائة.. هكذا هي الانتخابات في بلادنا - تمثل تجسيداً وتجلياً للديمقراطية. والنموذج المنقطع النظير الآخر هو ظاهرتان تعودنا نحن عليهما، لكنهما جذابتان ومهمتان للغاية بالنسبة للمراقب العالمي، ألا وهما تظاهرات الثاني والعشرين من بھمن وتظاهرات يوم القدس العالمي في شهر رمضان. يقيم الشعب احتفال الثورة كل سنة بشكل مستمر وبمظاهرات عظيمة حاشدة حماسية في أيام نهاية شهر بھمن الباردة، وهذا ما تواصل طوال ٣٥ سنة. وقد تعودنا على هذا الشيء ولا تبرز أهمية الموضوع وعظمته في أعيننا، لكن المراقب العالمي يرصد هذه الأمور وهي مذهلة جداً بالنسبة له. هذه هي عوامل تلك الجاذبية التي تثير حب الاطلاع وتعرض طريقاً جديداً على الأذهان الراغبة وعلى أهل الاستفسار والاستفهام والبحث والتحقيق. هذا واقع مهم وحقيقة مهمة في عصرنا هي عبارة عن الاهتمام وحب الاطلاع العام في العالم الإسلامي الذي يبيده الشباب والمستثمرون والواعون ومن هم من أهل فهم الأمور والمسائل تجاه هذه الظاهرة التي تحققت بتوفيق وتأييد من الله في بلد إيران الإسلامي، ونمت وتصاعدت يوماً بعد يوم. هذه هي النقطة الأولى.

هذا الواقع من صناعة يد المعمار الكبير. لقد قلنا الكثير عن الإمام الخميني، وقد يتصور البعض أننا نتحدث بمبالغة، ولكن لا، ما قلناه عن إمامنا الخميني الجليل ليس مبالغة بل هو جزء من الواقع، وإمامنا الخميني الكبير العزيز كان له من المعاني والمضامين والمغزى أكثر مما وصفنا واستطعنا أن نعرضه. ما يملكه الشعب الإيراني والمعروض على أنظار وأسماع الشعوب في مختلف أنحاء العالم هو من صناعة وصياغة تلك اليد القديرة. من أجل أن نسير الدرب بشكل صحيح علينا معرفة خارطة المعمار والمهندس. في بناء عادي مألوف إذا لم تكن هناك خارطة وإذا لم تكن الخارطة الأصلية معلومة فإن البنائين والعمال مهما كانوا مهرة وحاذقين قد يقعون في خطأ. يجب معرفة الخارطة الأصلية ليتمكن على أساس تلك الخارطة الأصلية تفعيل الفنون والقدرات في البناء والإحياء. ولم تكن خارطته خارطة تتمخض عن ذهنية إنسان فحسب، بل كانت بالتأكيد مؤيدة من عند الله. وقد كان الإمام الخميني نفسه يعلم ذلك ويعترف به. هو نفسه كان يقول: إن ما حصل هو من يد القدرة الإلهية، وقد فهم الأمر بصورة صحيحة، وعينه البصيرة الثاقبة شاهدت الأمر بشكل صحيح. علينا الحذر وعلينا معرفة تلك الخارطة؛ لنستطيع مواصلة الطريق. إذا لم نعرف الخارطة فسوف ننحرف، وحين ننحرف سوف نبتعد يوماً بعد يوم كلما تقدمنا أكثر عن الطريق الأصلي والصراط المستقيم، وحين نبتعد عن الصراط المستقيم سنبتعد عن الأهداف ولا

نصل إليها. من أجل أن نصل للأهداف ينبغي أن لا نضل الطريق، ومن أجل أن لا نضل الطريق ينبغي أن تكون الخارطة الأصلية والأساسية نصب أعيننا، وأن نعرفها ونعلمها.

خارطة الإمام الخميني والعمل الأصلي الذي قام به هو تشييد نظام مدني - سياسي على أساس العقلانية الإسلامية. والمقدمة الضرورية لهذه العملية هي استئصال النظام الملكي، والذي كان نظاماً فاسداً وعميلاً ومستبداً. لقد كانت هذه الخصوصيات الثلاث موجودة في النظام الملكي، كان نظاماً مستبداً وفيه مختلف أنواع الفساد الأخلاقي والمالي وغير ذلك، وكان تابعاً وعميلاً للقوى المختلفة، فهو في يوم عميل لبريطانيا، وفي يوم آخر عميل لأمريكا، وكان مستعداً لنسيان مصالحه وبلاده من أجل مصالح الأجانب، وكان مستبداً دكتاتورياً لا يهتمه رأي الشعب وأصواته وإرادته. وكل واحدة من هذه الخصوصيات الثلاث يمكن التحدث عنها بفصول طويلة وكتب. مقدمة ذلك العمل الكبير الذي أراد الإمام الخميني القيام به هو استئصال ذلك النظام الفاسد العميل الدكتاتوري، وقد عقد العزم على ذلك وتم استئصال النظام الملكي. ليست القضية في بلادنا أن يزول النظام الملكي ليحلّ محله نظام ملكي آخر أو شبه ملكي، إنما القضية هي أن تستأصل تلك الخصوصيات التي كانت في النظام الملكي، وقد استأصلها الإمام الخميني الجليل. كلام الإمام الخميني وتوجيهاته وسلوكياته كلها كانت بهذا الاتجاه.

ثمة نقطتان أساسيتان في صرح ذلك النظام المدني والسياسي مترابطتان ببعضهما، وبمعنى من المعاني فإنهما وجهان لحقيقة واحدة، الأولى: هي إيصال شؤون البلاد للشعب عن طريق الديمقراطية والانتخابات، والثانية: هي أن هذه المسيرة - النابعة من الإسلام ومن الحركة الديمقراطية وإيصال الأمور للشعب والجماهير - يجب أن تكون ضمن إطار الشريعة الإسلامية. هذان الجانبان يمكن اعتبارهما من زاوية معينة بُعدين لحقيقة واحدة.

لا يتصور البعض أن إمامنا الخميني الجليل استقى الانتخابات من الثقافة الغربية ومزجها بالفكر الإسلامي والشريعة الإسلامية، لا، لو لم تكن الانتخابات والديمقراطية والاعتماد على أصوات الناس من الدين ولا تستفاد من الشريعة الإسلامية، لما كان يمنع الإمام الخميني - ذلك الإنسان الصريح القاطع - شيء من التصريح بالأمر. هذا شيء من الدين، لذا فالشريعة الإسلامية إطار، ويجب مراعاة الشريعة الإسلامية في كل عمليات التقنين والتنفيذ، والعزل والنصب، والسلوكيات العامة التابعة لهذا النظام السياسي المدني. وإدارة الأمور وتحركها في هذا النظام يتم بواسطة الديمقراطية، بمعنى أن كل واحد من أبناء الشعب يشارك في انتخاب نواب مجلس الشورى، وفي انتخاب رئيس الجمهورية، وفي انتخاب الوزراء عن طريق واسطة، وفي انتخاب أعضاء مجلس خبراء القيادة، وفي انتخاب القيادة عن طريق واسطة. الأمور بيد الشعب، هذا هو

أساس تحرك الإمام الخميني الجليل. هذا الصرح العظيم الذي شيّده الإمام الخميني يعتمد على دعامتين: الالتزام بالشريعة الإسلامية هو روح النظام الإسلامي وحقيقته. ليتنبّهوا إلى هذا الشيء. إذا طبقت الشريعة الإسلامية بشكل كامل في المجتمع فسوف تؤمن الحريات العامة والمدنية - حرية الأفراد والحرية الفردية - وكذلك حرية الشعب والتي تسمى الاستقلال - فالاستقلال يعني الحرية على مستوى الشعب بحيث لا يكون هذا الشعب تابعاً إلى أحد أو مكان، والشعب الحرّ هو الشعب الذي لا يخضع بأي شكل من الأشكال لنفوذ وسيطرة أعدائه وخصومه أو الأجنبي - ويضمن كذلك العدالة في المجتمع ويضمن أيضاً الروح المعنوية. هذه هي العناصر الأصلية الأربعة: الحرية والاستقلال والعدالة والمعنوية. إذا سادت الشريعة الإسلامية في مجتمع فإن هذه الظواهر الأساسية في نظام المجتمع الإسلامي سوف تبرز وتعبّر عن نفسها. إذن، شدّد إمامنا الخميني الجليل على الشريعة الإسلامية التي تمثل روح الجمهورية الإسلامية. وقد اعتمد كذلك على الديمقراطية الدينية التي هي وسيلة وأداة ومستمددة بدورها من الشريعة.

ما من قدرة أو غلبة أو سلطة مقبولة في مدرسة الإمام الخميني ناتجة عن العسف والقوة. لا معنى للقهر والغلبة في النظام الإسلامي، السلطة لها معناها والاقتدار له معناه، لكنه اقتدار ناتج عن اختيار الناس وانتخابهم. الاقتدار الناجم عن العسف والغلبة والسلاح لا معنى له في الإسلام وفي الشريعة الإسلامية وفي مدرسة الإمام الخميني. السلطة الناجمة عن انتخاب الشعب هي المحترمة، ولا ينبغي لأحد أن يجأها، ولا ينبغي لأحد أن يستخدم القوة والقهر لمواجهة مثل هذه السلطة، فإذا فعل أطلق على عمله هذا فتنة. هذه هي الوصفة الجديدة التي عرضها إمامنا الخميني الجليل على العالم وأضاف هذا الفصل للأدبيات السياسية في العالم. من العناصر الأصلية في هذه الوصفة الجديدة - كما سبق أن أشرنا - المسارعة إلى مساعدة المظلوم ومواجهة الظالم. ينبغي المسارعة لمعونة المظلوم، والمصداق الأتم للمظلومية في زماننا وعهدنا هو الشعب الفلسطيني، وقد لاحظتم أن الإمام الخميني الجليل ومنذ البداية وإلى آخر عمره شدّد على فلسطين وأكد عليها ودعمها، وأوصى بأن لا ينسى شعب إيران ومسؤولو البلاد هذه القضية. مساعدة المظلوم والوقوف بوجه الظالم، ورفض تناول الظالم، والإنكار الصريح لهيبة الظالم وأبتهته وتحطيم هذه الأبته، هذه أيضاً من جوانب هذا النظام وهذه الوصفة الجديدة التي عرضها إمامنا الخميني الجليل. هذه خلاصة وصورة مختصرة ووصف مقتضب لمجموعة النظم السياسية والأساسية التي عرضها إمامنا الخميني الكبير بعد انهيار النظام الملكي في البلاد، وتقبلها الشعب تقبلاً حاسماً، وتحققت عملياً، ولم تبق هذه الوصفة في بطون الكتب كما هو الحال بالنسبة للكثير من الكلام والآراء السياسية، بل

نزلت إلى الواقع وتحققت وتبلورت، وأبدى شعب إيران هممه ووفاءه، وضحى وحفظها وصانها، وعززها يوماً بعد يوم إلى أن وصلتنا في يومنا هذا.

طيب، إذن لقد نجح الإمام الخميني، واستطاع تحقيق النجاح التام في العمل الذي أراد القيام به، ولكن هل سيستمر هذا العمل الكبير؟ وهل ستمتلى الخانات والأماكن الخالية في هذا الجدول، ومن الطبيعي أن تكون هناك خانات خالية في الجداول الاجتماعية والتاريخية؟ هذا منوط بمدى المهمة التي نبديها أنا وأنتم، وبدرجة الوعي التي نبديها، وبمقدار مراعاتنا لذلك الخط النير والسير فيه. نعم، من الممكن تماماً، بهذا الشعب الذي نشاهده، وبهذه التجربة، وهذه الحركة الموفقة والمسيرة المستمرة التي أبداها هذا الشعب طوال الأعوام الخمسة والثلاثين الماضية، وعلى مدى خمس وعشرين سنة بعد رحيل الإمام الخميني وإلى الآن، نعم، من الممكن مواصلة هذا الدرب، وملء الخانات الفارغة في هذا الجدول، وسوف يصار لإنجاز أعمال كبرى، وسيصل هذا الشعب بإذن الله وبحوله تعالى وقوته إلى ذروة القمم.

لكن هذا الطريق مثل كل الطرق المهمة المرسومة نحو الأهداف الكبرى تحفه تحديات وعقبات، يجب أن نعرف هذه العقبات؛ لنستطيع تجاوزها وعبورها، إذا لم نعرف الموانع فإن تجاوزها والعبور عليها سيكون إما صعباً أو حتى مستحيلاً. إنني أقول هذا لكم اليوم أيها الحضور المحترمون في هذا التجمع الهائل العظيم، وفي الواقع للشعب الإيراني الذي سيستمع لهذه الكلمة، ولكن على شبابنا والواعين والمفكرين والنخبة أن يفكروا في كل نقطة وفصل وجزء من هذه الأمور ويدرسوها، والمقصود هنا ليس مجرد البحوث الذهنية وشبه التنويرية، بل البحوث العملية والتطبيقية والواقعية. هذه النقاط التي نذكرها رؤوس نقاط وعناوين فصول لأعمال فكرية سوف ينجزها الشباب - وهم أفضل منا بكثير وعلى استعداد وجاهزية أكبر منا بكثير - إن شاء الله.

أذكر هنا تحديين: أحدهما تحدياً خارجي، والثاني داخلي. التحدي الخارجي الذي يواجهنا هو مضايقات الاستكبار العالمي. لنتكلم دون تردد أو تغليف، إنها مضايقات أمريكا وعرقلائها. صحيح أننا ربما نجد في تحليلات بعض مفكريهم السياسيين آراء تقول: بأن هذا النهج لا جدوى منه، ولا يمكن مواجهة هذا التحرك العظيم، لكنهم مع ذلك يمارسون المضايقات والعرقلة. يجب معرفة خارطة عملهم ومخططاتهم، وهي خارطة مفضوحة ومسربة. إنها خارطة أو الخطة العامة لأمريكا التي تتسرب اليوم عبر نقاشاتهم وبحثهم وتقاريرهم وتصريحاتهم وسلوكياتهم. تقسم أمريكا بلدان العالم وشخصياته إلى ثلاثة تيارات: التيار أو القسم الأول هو المطيعون، أي البلدان المطيعة والتيارات السياسية والاجتماعية الخاضعة أو الشخصيات المطيعة. هؤلاء جماعة. وهناك عدد من البلدان ليست مطيعة، ولكن ينبغي مداراتها. بعض البلدان وبعض الشخصيات وبعض

التيارات هي من وجهة نظر أمريكا ممن يجب مداراتهم ومصانعتهم والتركيز على المصالح المشتركة معهم، والتكيف معهم حالياً بنحو من الأنحاء، وسوف أعود لإيضاح هذه الحالة. أما القسم الثالث من البلدان فهي البلدان غير المطيعة والتي لا تخضع لأمريكا ولا تخضع لابتزازاتها.. هذه أيضاً مجموعة من البلدان. من وجهة نظر الأمريكان فإن كل بلدان العالم وكل التيارات السياسية والاجتماعية والمدنية والاقتصادية في العالم وكل الشخصيات البارزة والممتازة والمعروفة في العالم لا تخرج عن هذه الأنواع أو الأقسام الثلاثة، فهي إما خاضعة ومطيعة، أو مستقلة يجب مداراتها ومصانعتها ومجاملتها، أو إنها غير مطيعة وتبدي الشجاعة والبسالة والجرأة، حيث ينبغي التعامل معها بطريقة أخرى.

سياسة الأمريكيين مع الفئة الأولى هي الدعم الكامل، وبالطبع فإنه ليس دعماً مجانياً، إنما يدعمونهم ويحبونهم ويمتصونهم، والواقع أنهم يستفيدون من إمكانياتهم وخيراتهم لتأمين مصالحهم، أي أنهم يستغلونهم وينتزعون منهم كل أنواع الخدمة، ويحبونهم كما قلنا، ولا يهتمون لشيء. طبعاً إذا صدر عنهم سلوك يعد قبيحاً في العرف العالمي فإنهم لا يدينون ذلك السلوك بل يدافعون عنه ويبررونه. مثلاً توجد حكومات مستبدة تدار بأنظمة رجعية شديدة الاستبداد، لكنها على علاقات حسنة مع أمريكا وتخدم أمريكا، ومطيعة لأمريكا وتعد ضمن الفئة الأولى، فعندما يريد الأمريكان وصف هؤلاء لا يقولون حكومات مستبدة ودكتاتورية، بل يقولون إنهم بلدان أبوية! يخفون دكتاتوريتهم، ويقولون إن هؤلاء ليسوا دكتاتوريين بل أبويين. ما معنى الأبوية في النظم السياسية؟ معناه بلد ليس فيه مجلس تشريعي ولا انتخابات، ولا إذن بالكلام ولا حرية أقلام ولا حرية تعبير عن الرأي، وأقل تخلف عن إرادة الحاكم يقمع بشدة وحدة وعنف، هل هذا البلد بلد أبوي؟

كان صدام حسين في شطر من حياته ضمن هؤلاء المطيعين الخاضعين، فأمدّوه خلال تلك الفترة بكل أنواع الدعم وخدموه وأعطوه الأسلحة الكيماوية، وأمدّوه بخرائط تحركاتنا العسكرية المكتشفة بالأقمار الصناعية، وأعطوه خرائط حربية؛ لأنه كان في خدمتهم وضد نظام الجمهورية الإسلامية المتمرد عليهم، ونظام الجمهورية الإسلامية هو من ضمن الفئة الثالثة. هذه مجموعة من البلدان والأنظمة.

أما المجموعة الثانية فذكرنا أنهم البلدان التي تعتمد أمريكا سياسة المداراة في التعامل معهم. فما معنى المداراة؟ معناها أن لها معهم الآن مصالح مشتركة، فتريد الاحتفاظ بهم إلى جانبها الآن، ولكنها إذا وجدت فرصة ستطعنهم بالخنجر من الخلف في قلوبهم وتمزق قلوبهم، ولا تراعي أي شيء. ما هي أمثلة هذه البلدان؟ المثال على ذلك هو البلدان الأوروبية، هكذا هو وضع البلدان



الأوروبية في الوقت الراهن. أمريكا تداريهم لا بمعنى أنها تراعي مصالحهم، لا، فهي تضربهم عندما تستطيع ذلك، وتتجسس عن طريق الإنترنت على الشخصية الأولى في بلد حليف لهم (٥)، وتتجسس بواسطة الهواتف النقالة.. تتجسس على حياتهم الشخصية، ولا تبالي لشيء، وعندما يكتشف الأمر، يقولون نعم، معذرة، إنه أمر حصل بالتالي، ولما يكن مفر منه، شيء حصل! فهم غير مستعدين حتى لتقديم اعتذار حقيقي. حسب فهمي للقضايا السياسية يرتكب الأوروبيون خطأ استراتيجياً كبيراً عندما يضعون أنفسهم في خدمة أمريكا. إنهم يراعون مصالح أمريكا، وأمريكا لا تراعي مصالحهم، ولن تراعيها، وسيبقى الأمر على هذا المنوال إلى النهاية. هذه هي المجموعة الثانية.

والفتنة الثالثة هي البلدان التي لا تخضع لأمريكا. وسياسة أمريكا حيالهم هي أنها تستخدم كل وسيلة ممكنة ضد هذه البلدان غير المطيعة.. تستخدم أية وسيلة ممكنة ولا تعرف لذلك أية حدود أو قيود. إذا وجدت بلداً غير مطيع لأمريكا وأمريكا لا تهاجمه عسكرياً أو لا تفرض عليه حظراً فاعلموا أن هناك مشكلة، بمعنى أن هناك مانعاً يعترض هذا الطريق. وبلغة بسيطة إنهم لا يستطيعون القيام بمثل هذه الأعمال، ولو كانوا يستطيعون لفعلوا. الجريمة الوحيدة لهذا البلد غير المطيع هو أنه غير مستعد للاستسلام أمام أمريكا، وغير مستعد للخضوع لابتزازاتها، وغير مستعد لتقديم مصالحها على مصالحه، عندئذ سيكون هذا البلد بلداً غير مطيع. ولا يتورع الأمريكان عن أي فعل لإخضاع هذا البلد وتركيبه. يقومون بأي عمل يمكنهم القيام به، وإذا لم يفعلوا شيئاً من الأشياء فذلك بسبب عجزهم.

طيب، ما هي هذه الأعمال والأفعال التي يقوم بها الأمريكان؟ ليس الهجوم العسكري اليوم في الأولوية من وجهة نظر الأمريكان. لقد أدركوا أنهم خسروا وتضرروا في هجماتهم العسكرية ضد العراق وضد أفغانستان. وفهموا أن الهجوم العسكري وبمقدار ما يحمل من أخطار على البلد الذي يتعرض للهجوم يحمل بنفس المقدار — وأحياناً بمقدار أكبر — أخطاراً على البلد المهاجم.. هذا ما أدركوه، وهو صحيح. لذلك يمكن القول: إنهم صرفوا النظر عن الهجمات والعمليات العسكرية، ولديهم سبلهم وطرقهم الأخرى. من طرقهم أن يوكلوا تحقيق أهدافهم في ذلك البلد الذي يعادونه لعناصر داخلية في نفس ذلك البلد. والقضية ليست فقط قضية إيران الإسلامية والجمهورية الإسلامية، فهم يفعلون ذلك في كل مكان من العالم، ونحن نشاهد نماذج من ذلك. أو إنهم يقوون بعض الأفراد ليدبروا انقلاباً يستأصلوا به ذلك النظام أو الجهاز الحكومي أو السياسي الذي لا يستسلم لهم. هذا أحد الطرق.

ومن الطرق جرّ فريق من الناس إلى الشوارع، وهذه الثورات الملوّنة التي وقعت في بعض الأماكن من هذه المنطقة طوال الأعوام الأخيرة هي من هذا القبيل. تستلم حكومة زمام الأمور، وأية حكومة تستلم زمام الأمور، حتى لو جاءت إلى السلطة بـ ٦٠ بالمئة من أصوات الشعب فسيكون هناك ٤٠ بالمئة من الشعب لم يمنحوها أصواتهم. والأمريكان يقصدون أولئك الأربعين بالمائة ويختارون من بينهم عناصر ودلائل، ويدفعونهم بواسطة التطميع والأموال والتهديد إلى جرّ ذلك الأربعين بالمائة أو جزء منه إلى الشوارع. هذه الثورات الملوّنة، وهذه الثورة البرتقالية، والثورات الفلانية في بلدان مختلفة التي شوهدت خلال الأعوام الأخيرة، كانت اليد الأمريكية من ورائها. لا نريد أن نقيّم أو نحكم أبداً بشأن الأحداث التي تجري رهنأً في منطقة (٦) من أوربا، ولكن الإنسان حين ينظر يجد أنه ماذا يمكن لعضو في مجلس الشيوخ الأمريكي والمسؤول أمريكي (٧) أن يمارسه من دور في تظاهرات أقلية ضد بلد معين حينما يحضر هناك؟ لقد حضروا هناك. من أعمالهم أنهم يجرّهم لجماعة من الناس إلى الشوارع وتأجيج عصيان مدني يعملون على إسقاط الحكومة التي لا يرتضونها وغير المستعدة للخضوع لابتزازاتهم.

ومن ممارساتهم تنشيط جماعات الإرهاب والاعتقالات وإطلاق فرق اغتياالات. قاموا بهذا الشيء في العراق، وقاموا به في أفغانستان، وقاموا به في بعض البلدان العربية في المنطقة، وقاموا به في بلادنا نفسها. يطلقون جماعات إرهابية ويغتالون أشخاصاً معينين. اغتالوا في بلادنا العلماء ومتخصصي الطاقة النووية، فاستشهدوا. ومن قبل ذلك اغتالوا أشخاصاً آخرين من النخبة السياسية والنخبة الثقافية والشخصيات العلمية والشخصيات الدينية ورجال الدين. وقد نمت هذه الجماعات تحت مظلة أمريكا، والبعض منهم حظوا بقبول الأمريكان؛ نتيجة هذه الخدمات التي قدّموها لأمريكا.

المنافقون اليوم في أحضان أمريكا ويشاركون في اجتماعات متعددة وفي لجان الكونغرس الأمريكي. نفس عناصر المنافقين، ونفس هؤلاء الذين قتلوا — هنا — أبناء الشعب، وقتلوا الشخصيات البارزة والعلماء، والشخصيات السياسية، وقاموا بالتفجيرات، هم اليوم هناك مع الأمريكان. هذا أيضاً أحد الطرق.

ومن الطرق أيضاً بث الخلافات والتراعات في قمة هرم النظام الحاكم. هذه من الأعمال التي يقومون بها. النظام أو المؤسسة الحكومية غير التماشية معهم يحاولون خلق خلافات ونزاعات فيها، واصطناع سيادة وحكومة مزدوجة فيها، وهم لا ينجحون في الكثير من المواطن، لكنهم للأسف ينجحون في بعض المواطن. هذا أحد طرقهم. ومن طرقهم أيضاً صرف قلوب الناس وأفكارهم وأذهانهم عن ركائزهم العقيدية والإيمانية بما يبشرونه من إعلام ودعاية. وطرق متنوعة

أخرى من هذا القبيل. ونظام الولايات المتحدة الأمريكية قام بكل هذه الأعمال والممارسات ضد إيران العزيزة وضد إيران الإسلامية، وأخفق بفضل من الله في كل هذه الأعمال والممارسات. الانقلاب العسكري، ودعم أرباب الفتنة، وجرّ الناس للشوارع، ومجابهة الانتخابات، وبث الخلافات والتراعات، مثل هذه الأعمال إما قاموا بها أو حاولوا القيام بها، ولم ينجحوا في كل هذه الأعمال والمحاولات والحمد لله. لماذا؟ لأن الشعب كان يقظاً ومؤمناً، وهنا انتقل إلى التحدي الثاني وهو التحدي الداخلي.

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء.. التحدي الداخلي أمام شعبنا هو أن ننسى ونستبعد ونفقد روحية واتجاه نهضة إمامنا الخميني الكبير. هذا هو أكبر الأخطار. وأن نخطأ في معرفة أعدائنا، ونخطأ في معرفة أصدقائنا، ونخلط بين جبهة العدو والصديق، ولا نفهم من هو العدو ومن هو الصديق؟ أو نخطأ في معرفة العدو الأصلي والعدو الفرعي. هذا بدوره خطر. أيها الإخوة الأعزاء، أيها الأخوات العزيزات، ويا عموم شعب إيران، ليتنبه الجميع إلى أنه في بعض الأحيان يعاديكم طرف، ولكن إذا دققتم لوجدتم أن عداؤه ليس عداً أصلياً، بل هو تابع لعامل آخر ولطرف آخر، فعليكم في هذه الحالة أن تبحثوا عن العدو الأصلي وتجذوه، وإلا إذا جابه الإنسان العدو الفرعي فسوف تستترف قواه ولن تكون نتيجة العمل نتيجة مطلوبة وجيدة.

ثمّة جماعة في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي اليوم تسمّى الجماعات التكفيرية والوهابية والسلفية تعمل ضد إيران وضد الشيعة والتشيع، ويقومون بأعمال سيئة وقييحة، لكن هؤلاء ليسوا الأعداء الأصليين، ليعلم الجميع هذا. إنهم يعادون ويرتكبون الحماقات لكن العدو الأصلي هو الطرف الذي يجرّهم ويحرضهم ويمدهم بالأموال، وهو الطرف الذي إذا خارت عزائمهم وضعفت محفزاتهم قليلاً يحرضهم ويعزز تحفزهم بمختلف الوسائل. العدو الأصلي هو الطرف الذي ينشر بذور الخلافات والتراعات بين تلك الجماعة الجاهلة وبين الشعب الإيراني المظلوم، والذي يقوم بذلك هو الأيدي الخفية للأجهزة الأمنية والاستخبارية. لذلك قلنا كراراً ومراراً بأننا لا نعتبر هذه الجماعات غير العقلانية والتي تواجه نظام الجمهورية الإسلامية باسم السلفية والتكفيرية والإسلام، لا نعتبرها العدو الأصلي. إننا نعتبركم مخدوعين، وقد قلنا لهم: ﴿لَنْ بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨). إذا كنت تخطئ وتعتزم قتل أخيك المسلم فإننا لا نعتبرك أيها الجاهل شخصاً يجب أن نعتزم قتله. ونحن طبعاً ندافع عن أنفسنا، وكل من يهاجمنا سيواجه قبضاتنا وصفعاتنا القوية، وهذا شيء طبيعي، لكننا نعتقد أن هؤلاء ليسوا العدو الأصلي، بل هم مخدوعون. العدو الأصلي هو ذلك العدو المختبئ خلف

الستار وتلك اليد غير الخفية جداً التي تخرج من كمّ الأجهزة الأمنية فتمسك بتلابيب المسلمين وتوقع بينهم.

هذه هي التحديات الداخلية التي تواجهنا: الانشغال بالخلافات في داخل البلاد.. أن تشغلنا الخلافات الفرعية والسطحية وتضعنا بعضنا في مقابل بعض وتخلق حالات من التزاع والتعارض، وتغفلنا عن القضايا الأصلية والخطوط الرئيسية. هذا من مصاديق ذلك التحدي الأصلي الذي نتحدث عنه. من التحديات التي يجب أن نحذر منها هو تفتت انسجام الشعب. وكذلك الابتلاء بالكسل، وعدم النشاط، وفقدان الروح، وقلة العمل، والركون إلى اليأس والقنوط، والتصور بأننا عاجزون وغير قادرين، والتصور بأننا لم نستطع فعل شيء لحد الآن. لا، فنحن قادرون كما قال الإمام الخميني (٩) ويجب أن نتحلى بالعزيمة، فالعزيمة الوطنية والإدارة الجهادية بوسعهما حلّ كل هذه العقد والمشكلات. هذه كلها من التحديات الداخلية التي تواجهنا ويجب أن نجابهها. وكما ذكرنا فإن شبابنا الأعضاء ونخبنا وفضلاءنا يجب أن يجتمعوا ويتدارسوا هذه الأمور التي تمثل رؤوس نقاط وعناوين كلية. الاسم المبارك لإمامنا الخميني الكبير وذكرى ذلك الرجل العظيم وخارطة ذلك المهندس الضليع يمكنها كلها أن تمدّ لنا يد العون في كل هذه الفصول والعناوين، وتمنحنا الأمل والحيوية والنشاط، وقد كان هذا هو الواقع لحد الآن وسيكون كذلك في المستقبل أيضاً بتوفيق من الله.

اللهم انزل بركاتك على هذا الشعب العزيز. اللهم أعن شبابنا الأعزاء السائرين في سبيل تشييد الصرح المثالي للنظام الإسلامي. اللهم احفظنا من الاعوجاجات والانحرافات. ربنا اجعل يد الشعب الإيراني أقوى من أعدائه، وانصره على أعدائه، واجعل القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداه) رؤوفاً بنا، واشملنا بأدعيتته، واحشر الروح الطاهرة لإمامنا الخميني وأرواح الشهداء الأبرار مع الرسول الكريم (ص) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ - سورة الحشر، شطر من الآية ١٠ .

٢ - سورة يونس، شطر من الآية: ٨٨ .

٣ - سورة إبراهيم، الآية: ٢٤ و شطر من الآية: ٢٥ .

٤ - سورة الطارق، الآيتان: ١٥ و ١٦ .

٥ - بلد ألمانيا.

٦ - بلد أوكرانيا.

- ٧ - جون مك كين.  
٨ - سورة المائدة، الآية: ٢٨ .  
٩ - من ذلك ما ورد في صحيفة الإمام، ج ١٩ ، ص ٣٢٧ .

